

قطعة من جنة

رجل التقى والعلمُ والأدبُ
مذ غارَ في مصباحِ الذهبِ

غابتُ سجايًا كان معدنُها
الألماسُ بين الناسِ لا الذهبُ

غابَ التواضعُ طُنَّ من سَفَهه
مذعةً لمن من قدسه اقتربوا

غابَ ابتسامُ ما اشتكى ظمأ
مَن من نميرِ معينه شربوا

غابتُ مجالسُهُ وحكمتهُ
وهوتُ بأفقِ سمائه الشهبُ

*

متعجلاً نحو السماءِ مضى
والشوقُ في جنبه يضطربُ/

لحياتهِ الأخرى يؤسسها
في الخالدين تقىً، ولا عجبُ

هو قطعةٌ من جنةٍ هبطتُ
للأرضِ لم تطفِر بها الكتبُ

متوزعاً قد كان تفرؤه
الأبصارُ نصّاً ليس يحتجبُ /

عن ناظريكَ ، وليس منصرفاً
إلا إليكَ وكله حـدبُ

يُسدي إليك النصحَ معذراً
وكأنه للذنبِ يرتكبُ

ويشدُّ أزرَكَ حين تطلبُهُ
عوناً كأنَّ - ابناً فداه أبُ !

ويصبُّ عذبَ حديثه بفمِ
ما مرَّ فيه الزيفُ والكذبُ

متنكرُ للذاتِ ديدنه الإيثارُ
ليس لجوده سببُ /

إلا ابتغاءَ الجودِ .. تحسبُهُ
من معشرٍ خُلِقوا لكي يهبوا

*

يا واحدَ الأخلاقِ يا نهرًا
قد كان بين الناسِ يصطخبُ

يا ما جريتَ ليرتوي شجرُ
في صفتيكَ ويعتدي عُشُّبُ

سيظلُّ نبعك في القلوبِ وإن°

حجبتك عن أنظارنا الحجبُ

متدفقاً يروي إذا بخلت°
بالودقِ ملاءَ ضروعها سحبُ

ويظلُّ لاسمك جرسُهُ وعلَى
إيقاعه يسمو بنا طربُ /

طربُ سماويُّ تكادُ له
أرواحنا من وجدها تنبُ /

من طينها لتراك منعقاً
من ثقل طينك حيث لا كـرَبُ /

يعروك، حيثُ الجنةُ انشرجت°
صدرًا غداة رأتكَ تقتربُ /

منها لتسكنها، وكم سكنت°
هيَ فيكَ وانكشفت° لك الحجبُ

*

يا أيها (المعتوقُ) من دَرَنِ الدنيا
تركتَ الدمعَ ينسكبُ

وتركتَ أفئدةً مولىً همةً
من حزنها تبكي وتنتحبُ

وذهبتَ لكن° للخلودِ كما
المتألّهون لخلدهم ذهبوا

سيظلُّ شَيْءٌ مِنْكَ فِي دَمِنَا
حِيَّاً وَيَبْقَى الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ /

يتذاكرانك في النديِّ إِذَا اجتمعَا
وغبتَ وهوَّ مِ اللَّهْبِ /

في ليلةٍ كنتَ المديراً بها
كأسَ الحديثِ ويشهدُ العنبُ

*

تباً لكفِّ الموتِ لا عتبُ
يلوي مكائدها ولا تعبُ

كيف انتفتكَ وأبعدتك ولم
ترفق بمن حباً لك انتسبوا

لكنَّه قدرٌ وخاتمةٌ
ستطالُ من صدقوا ومن كذبوا

وتطالُ من خلصوا ومن مذقوا
وتطالُ من بعدوا ومن قربوا

لا مهربٌ منه وما سمعتُ
أذنُ بمن من موتهم هربوا

فاذهبُ به يا موته جسداً
ولتطوه يا أرضُ يا تربُ

سيظلُّ رَوْحاً بيننا خلدتُ

آثارها ما مسها عطبٌ

وتطلُّ نخلهٌ حبه أبدًا
خضراءَ ملاءَ عذوقها رطبٌ

فكأنه القطبُ الذي بقيتُ
لمداره الأحبابُ تنجذبُ

وكأننا - بل نحن - إخوتُهُ
في الحبِّ واشهدُ أيها الأدبُ!

عبدالوهاب خليل أبوزيد